مجلة علوم اللغة العربية
المجلد ٤، العدد ١٢، السنة ٢٠٢٦، الصفحات ٧٤- ٩٠
ISSN: ٣٠٦٠-٥٥٨x ---- E-ISSN: ٣٠٦٠-٥٥٩٨
تاريخ الإرسال: ٢٠٢٦/٠٢/٩ - تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٠٦/٢٠

A technical study of the elements of narrative construction in the Poem "Struggle with the Ghoul" by Ta'abbaṭa Sharrā

Mohammad Kalashi*
Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Farhangian University, Tehran, Iran
m.kalashi@cfu.ac.ir
Javad Mohammadzadeh
Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, University of Mazandaran, Babolsar, Iran
j.mohammadzadeh@umz.ac.ir
Saad Jaberiani
Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Farhangian University, Tehran, Iran
s.jaberiani@cfu.ac.ir

Abstract

In the pre-Islamic era, some poets used narrative techniques in their poems, including the poet Saluk, nicknamed Ta'abbaṭa Sharrā, who composed a poem on the "rhyme-letter"of Noon entitled "The Struggle with the Ghoul" in which he embodied his experience in a fictional and legendary story. The characteristic of this poem is its narrative style, which is based on dialogue and characterization. Therefore, the present study, relying on a descriptive-analytical method, has examined the elements of narrative structure in this poem. The results of the article indicate that the poet, as the main character (hero), fights against the character of the Ghoul (anti-hero) The vocabulary of this poem also differs according to the two characters, the hero and the anti-hero: smooth and fluent words that describe the poet himself, and strange and far-fetched words that are appropriate for the character of the Ghoul. The point of view used to narrate the stories is the first person and the plot of the stories often has a simple and elementary plot. In describing the place, “Raha Betan” also uses the adjective "sahsahan" to try to show the audience its dangers and endless expanse.

Keywords: Narrative structure, linguistic analysis, Su'luk Ta'abbaṭa Sharrā, the Poem "Struggle with the Ghoul".

دراسة البنية السردية في قصيدة "صراع مع الغول" لتأبّط شرا

محمد كلاشي*
أستاذ مساعد في قسم تعليم اللغة العربية وآدابها، جامعة فرهنجيان، طهران، إيران
m.kalashi@cfu.ac.ir
جواد محمدزاده
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، بابلسر، إيران
j.mohammadzadeh@umz.ac.ir
سعد جابرياني
أستاذ مساعد في قسم تعليم اللغة العربية وآدابها، جامعة فرهنجيان، طهران، إيران
s.jaberiani@cfu.ac.ir

ملخص

في فترة ما قبل الإسلام، لقد قام بعض الشعراء باستخدم العناصر السردية في طيات قصائدهم، منهم الشاعر الصعلوك، الملقّب بتأبّط شرا، وله قصيدة نونية عنوانها "صراع مع الغول" نظمها في تسعة أبيات ذات موضوع أخلاقي واجتماعي، وفيها، إلى جانب لوم قبيلته، أشاد بنفسه من خلال سرد قصة خيالية. من ثمّ، قام هذا البحث على ضوء المنهج الوصفي-التحليلي، بدراسة البنى السردية في هذه القصيدة. يهدف هذا البحث إلى دراسة مهارة تأبّط شرا في إثبات القيم الأخلاقية كالكرامة، والشجاعة والحرية استعانة بالعناصر المكوّنة للسرد. تدل نتائج هذا البحث على أن جميع العناصر السردية في هذه القصيدة تدور حول مدح الشاعر لنفسه وقوته الخارقة. يسعى الشاعر، بوصفه شخصية البطل، (البروتاغونيست) إلى نقل صورة فريدة عن نفسه إلى المتلقّي من خلال وصف شخصية الغول (الأنتاغونيست) بطريقة مرعبة. تروى القصة بضمير المتكلم، وتتميّز بحبكة سردية متماسكة. في تصوير المشهد، تدل الصحراء القاحلة المجدبة في منطقة رحى بطان، الموصوفة بـ«صحصحان»، على الشجاعة الفائقة للشاعر، في حين أن وقوع الحدث في عتمة الليل يشير إلى يقظته وحِدّة انتباهه. الحوار في هذه القصيدة ثنائيّ الطرف، إلا أن كثرة استخدام ضمير المتكلم تدلّ على اعتزاز الشاعر بذاته وتميّزه بين أفراد قبيلته. يُعَدّ الميل إلى السلم، وذل العبودية، والقدرة الخارقة للبشر، من المضامين الأخلاقية والاجتماعية والفنية في هذه القصيدة.

الكلمات المفتاحية: البناء السردي، التحليل اللغوي، الصعلوك، تأبط شرا، قصيدة "صراع مع الغول".

١. المقدمة

يعدّ الفن وسيلة للتعبير عن العواطف والمشاعر الفردية والجماعية للإنسان. ويحتلّ الشعر، بوصفه تاج الفنون المختلفة، مكانة متميزة في التأثير في المتلقي، لما ينطوي عليه من ثراء تخييلي وموسيقى لغوية، فضلًا عن قدرته على التأثير في الوجدان بصورة تفوق غيره من الأنواع الأدبية، ولا سيما عندما يتداخل مع القصة أو الحكاية. بعبارة أخرى، يمكن للشعر أيضاً أن يكون راوياً للعواطف والمشاعر التي تنتقل إلى المتلقي في قالب قصة أو حكاية. ومن هذا المنظور، يمكننا التمييز بين الشعر السردي والشعر غير السردي، وتحديد الحدود الفاصلة بينهما. يعرف الشعر السردي، ببساطة، بأنه «الشعر الذي يعمد فيه الشاعر، بأساليب متنوعة، إلى سرد أحداث أو حكاية معينة. وبعبارة أخرى، هو الشعر الذي يترك في ذهن المتلقي، عند قراءته أو سماعه، أثرَ حكاية أو مصيرٍ ما، ولو بالحد الأدنى.» (روحانی و منصوری، ١٣٨٦: ١٠٦)

عند الحديث عن السرد أو الشعر السردي، تحضر، بطبيعة الحال، عناصره ومكوّناته الأساسية. ويعد الراوي، المتمثل في الشاعر نفسه، من أبرز عناصر الشعر السردي؛ فقد يتولى الشاعر أحياناً دور الشخصية الرئيسة أو البطل، فيغدو صوته حاضراً ومسموعاً في القصيدة، وقد يضطلع أحياناً أخرى بنقل أصوات الشخصيات الأخرى. ومن العناصر الأساسية كذلك الحبكة (البلات/المخطط السردي)، والزمان، والمكان، وغيرها من العناصر التي تجعل الشعر قريبا من بنية القصة، غير أن من النقاط التي ينبغي مراعاتها عند دراسة الشعر السردي طبيعة القصة أو الحدث الذي يتولى الشاعر روايته. فقد نواجه، في بعض نماذج الشعر السردي، قصة معروفة أو محددة سلفاً، يعيد الشاعر تشكيلها في قالب شعري، مستثمراً موهبته الفنية وقدرته التخيلية، بحيث يضيف إليها بعض التفاصيل أو يحذف منها أخرى، وفق رؤيته الفنية الخاصة. في هذا النوع من السرد، تكون المواد الأساسية موجودة بالفعل، ويقوم الشاعر ببساطة بسردها شعراً. أما في نوع آخر، فيتولى الشاعر بنفسه ابتكار النص أو أصل القصة، وهي قصة تنبع من خياله وإبداعه.

شهد العصر الجاهلي عدداً من القصائد التي نجحت في تقديم أحداث أو حكايات في صورة سردية وفنية بديعة. ومن أبرز هذه القصائد نونية الشاعر الصعلوك تأبّط شرّا، المعروفة بعنوان «صراع مع الغول». وتتميز هذه القصيدة ببنية سردية متماسكة، تمكّن الشاعر من خلالها من نقل رسالته إلى المتلقي في إطار حكائي. يتناول موضوع هذه القصيدة السردية القيم الأخلاقية كالكرامة، والشجاعة والحرية يدركها تأبّط شرا. من ثمّ يتعلّق حدود بحثنا هذا بجذور التراث العربي أيضاً ألا فهو شعر الصعاليك «فهو شعر ولد في لحظات توتُّر حادة، مِن جماعة تعيش بطبيعة تكوينها على حافة المجتمع، وهو مرآة شفيفة لبيئة الشاعر الجاهلي المتمرد بكل من فيها وما فيها من أحداث رصدتها عدسة الشاعر الصعلوكي» (القحطاني، ٢٠٢٢: ٧٧٠).

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- أي عنصر من العناصر السردية بارز في قصيدة "صراع مع الغول"؟

٢- ما التقنيات التي وظّفها الشاعر لتحقيق الانسجام بين النبرة والمعنى؟

٣- ما هو الرمز الأسطوري لشخصية الغول في هذه القصيدة؟

٤- كيف استخدم الشاعر العناصر السردية في هذه القصيدة؟

١-١. خلفية البحث

رسالة تحت عنوان «دراسة لغوية في ديوان تأبط شرا» إعداد الطالب: العطروز، تماضر زاهي مفلح وبإشراف النعيمي، ناصر إبراهيم صالح. تمّت مناقشة هذه الرسالة لنيل شهادة الماجستير، السنة الجامعية : ٢٠١٦م. خلص الباحث إلى أنّ أبنيته جاءت موافقة لأنماط الأبنية التي وضعها علماء العربية، ولم نجد له تفردا بنمط معين. وفي الدراسة اللغوية لشعره، فقد جاءت في معظمها موافقة للمعاني العربية التي وضعها علماء اللغة، وألفيناه وقد تفرد في بعض منها.

بحث بعنوان: «العجائبية في شعر تأبط شرًّا (الغول أنموذجًا)» للباحثة: مريم محمد الأمين حسن الشنقيطي. تمّ نشر هذا البحث في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، المجلّد ٤، والعدد ٤، سنة ٢٠٢٤م. خلص البحث إلى أن العجائبية إحدى تقنيات الخطاب الشعري التي يحاول الشاعر من خلالها إبراز رغبة في نفسه تختلف عن واقعه الذي يعيشه، فيأسس من خلالها عالمًا جديدًا متخيلًا يقوم على الإدهاش والمتعة.

بحث بعنوان «الجمالية والفنية في شعر الصعاليك: دراسة وصفية تحليلية» للباحث: ليو يونغ ده. تمّ نشر هذا البحث في مجلة ب Arab Journal for Scientific Publishing المجد ٢، العدد ٧٣، عام ٢٠٢٤. فقد خلص البحث إلى أن شعر الصعاليك لم يكن مجرد تعبير عن حياة التمرد والفقر، بل حمل في طياته فلسفة جمالية عميقة تتعلق بمفاهيم الحرية الفردية والكرامة الإنسانية.

بحث بعنوان «صيغ مبالغة اسم الفاعل في شعر تأبط شرا ودلالتها- دراسة صرفية إحصائية» للباحثين: سالم عبد الله العجمي وخالد فالح السبيعي. تمّ نشر هذا البحث في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ١٧٠، عام ٢٠٢٥. فقد خلص البحث إلى أن الشاعر عدل إلى استعمال صيغ مبالغة اسم الفاعل ليعطي النص جماليةً وشعريةً وقيماً فنية.

بحث بعنوان " البنية السردية في شعر الصعايك "الشنفرى وتأبط شرا نموذجاً" كتبته ليلى بوعمامة وحبيبة بوتمجت ونُشر في مجلة لغة الكلام في المجلد السابع من عام ٢٠٢١. في هذا البحث، فحصت الكاتبتان أهم العناصر السردية في قصائد الشاعرين بشكل عام، ودرستا إبداعات كل منهما.

لعلّ بحث " الغول والصعلوك تأبط شرا نموذجا" يعد من أهمّ البحوث التي تناولت قصيدة "صراع مع الغول". نشر هذا البحث، الذي كتبه شريف بشير أحمد، في مجلة "التراث العربي" عام ١٤٢٥ هـ. يتناول فيه الكاتب أسباب استخدام الغول في قصائد الشاعر، كما يحلل القصيدة نفسياً من منظور معجمي، وإلى حد ما، من منظور سردي.

جدير بالذكر أن الدراسات فيما يتعلّق بأشعار الصعاليك كثيرة إلا أنّ الباحثين ما وجدوا دراسات تحلل قصيدة "صراع مع الغول" تحليلاً سردياً والكشف عن الملامح الأسطورية والبواعث التي دعت الشاعر إلى استحضارها بالإضافة إلى الكشف عن عناصر البناء القصصي في القصيدة.

٢. الإطار النظري

٢-١. السرد لغة واصطلاحاً

من الناحية اللغوية أنّ للسرد تعريفاً يُوضّح معناه، وهو يعني «التتابع والتسلسل في الحديث، ويُقال سرد الحديث يسرده سردًا إذا تابعه، فكلمة السرد تدلّ على تتالي الأحداث، وهذا يتناسب مع النصوص القصصية والروائية.» (عطايا وعبدالله، ٢٠٠٧م: ٦٤) أما في الاصطلاح فهو لا يبتعد

ابتعاداً كبيراً عن تعريفه اللغوي، فهو يعني «نقل الأحداث أو الأخبار، سواء كانت من صميم الواقع أم من نسج الخيال أم متنوعة بين الاثنين معا، وذلك ضمن إطار زماني ومكاني، ووفق حبكة فنية متقنة ومحكمة تجذب المتلقي للاستمرار بمتابعة الأحداث المسرودة.» (المصدر نفسه: ١٧) فببساطة أنّ السرد يعني نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية. «فالسرد عملية إنتاج يمثّل فيها الراوي دور المنتج، والمروي له دور المستهلك، والخطاب دور السلعة المنتجة. وتنعقد العلاقة بين الراوي والمروي له في السرد من خلال الأسئلة المباشرة أو غير المباشرة التي يطرحها الأول ليضمن حسن متابعة الثاني لحكايته، أو يطرحها الثاني حين يواجه ما يستغربه، أو لا يوافق منطقه من كلام الأول. فالسرد هو الخيارات التقنية (والإبداعية) التي يتم من خلالها تحويل الحكاية إلى قصّة فنية. وهو يشمل الراوي والمنظور الروائي والأحداث..» (زيتوني، ٢٠٠٢م: ١٠٥).

٢-٢. عناصر السرد

إنّ للسرد مكوّنات يستخدمها الأديب لإيصال القصة أو الحدث إلى المتلقّي وهي تتمثّل في: الحدث، والشخصيات، والزمان، والمكان، والحبكة، والصراع إلا أنّ بعض الناقدين خلصوا إلى أنّ «العناصر المكوّنة للسرد أربعة، هي الشخصيات، والمكان/الفضاء، والزمان، والوظيفة السردية. تعد الشخصية عاملاً أساساً في عملية السرد، ولكي تتحرك، فهي تحتاج إلى مكان تنشط داخله، وإلى زمان تحيا فيه، ثمّ إنّ السرد يستدعي هيأة سردية تهيكله وتنظمه. تتكامل هذه المكونات في ما بينها، وتتلاحم حتى لا تمايز بينها، ولا تقوم لأحدها قائمة في غياب الآخر. وإن وجد فصل بينها، فعلى المستوى النظري فقط، إنّها أطراف تذوب في بوتقة واحدة، ويستوجب فهمها والوقوف على وظائفها النظر إليها في إطارها الشمولي العام.» (الغرّابي، ٢٠١٦م: ٣١).

٢-٣. القصيدة السردية

تعدّ القصيدة السردية لوناً من ألوان الشعر الذي يتحدث عن قصة ما وهي «عبارة عن قصة تروي أحداثاً درامية تقوم بها شخصيات فاعلة في مشهد زماني ومكاني محدد.» (العبودي وحامي، ٢٠٢٠: ٤٧) إنّ التداخل ما بين الشعر والسرد قديماً قدم الكتابة الشعرية «فالقصص الشعري شكل ظاهرة في الشعر العربي منذ امرئ القيس ومروراًبعمر بن أبي ربيعة، ووصولاً إلى أبي نواس، وفي العصر الحديث أصبح الحضور السردي في الشعر مؤسساً على وعي جمالي، ورؤية فنية، انطلاقاً من معرفة الشاعر بعناصر السرد وآلياته، حيث يحرص على توظيفها بما يحافظ على خصوصية النص الشعري» (عاتي، ٢٠٢٥: ٤٨) والمتأمّل في الشعر الجاهلي ولاسيما عند الصعاليك، يكتشف السمات السردية في قصائدهم، حيث إنّ بعضهم كانوا يميلون إلى السرد والحكى عن ذكرياتهم ومغامراتهم من خلال أسلوب قصصي فالشاعر «يلجأ إلى السرد لالتقاط مفردات الواقع وتأمل حركة الحياة من حوله رغبة منه في الاحتفاظ بها والتداخل معها، لأنه يشعر بالاغتراب وفقد الحياة يوميا» (هلال، ٢٠٠٦: ٣٨) إضافة إلى ذلك، كان الشعر في العصر جاهلي مبنياً على وحدة البيت وقد شكل الشعر وحدة عضوية مع السرد «فينتقل عبرها التشكيل السردي من النثر إلى الشعر من دون أن تتعثر حركته، إنّها تمتد بما يمكن أن يضيفه الشعر إلى القصة، أو يرتفع به من تفاصيلها ملخصاً حدثها أو معلقا عليها عبر عدد من الشخصيات.» (عباس، ٢٠١٨: ٧١).

٢-٤. الخصائص الفنية لشعر الصعاليك

قبل أن نتطرق إلى شعر تأبّط شرا ينبغي الإشارة إلى بعض السمات التي نراها غالباً ما عند الشعراء الصعاليك. «إنّ شعر الصعاليك يتسم بسمات من دقة التعبير والتخلص من المقدمة فهو لم يحتو على مقدمات طلليَّة، ولا وصفاً لمعركة وراحلة أو صحراء، وإنما كان معظم شعر الصعاليك يمتلئ بوصف قيمهم الأخلاقية، والأسباب التي جعلتهم يسلكون مسلكهم في الغزو والنهب، من أجل إطعام الفقراء في معظمهم أو لمآرب شخصية، واتسمت قصائدهم بإطلاق العنان لخيالهم، بالإضافة إلى إبراز حكمتهم في أبياتهم الشعرية، كما أنّهم أقلّوا من الشعر الغزلي بحكم حياتهم القائمة على عدم الاستقرار» (يونق دي، ٢٠٢٢: ٣٨٩). بمعنى آخر يمكن أن نلخص أهمّ سمات الشعر الصعلوكي إلى: اتباع الأسلوب القصصي، اختلاف مستوى الألفاظ وغرابتها والزهو والخيلاء والذاتية فشعرهم في الصبر وقوة الإرادة والاستهانة بالموت قد يبدو فخراً، وفي الوقت نفسه يحمل إحساساً بالتعب والجهد في الحياة (الحنفي، ١٩٨٧: ٣٦٩).

٣. قصيدة "صراع مع الغول"

تعتبر قصيدة "صراع مع الغول" من أشهر قصائد الشاعر الجاهلي، تأبط شرّاً، وهي قصيدة سردية تروي قصة صراعه مع الغول وهي مقطعة صغيرة لا تزيد على تسعة أبيات، نظمَها على البحر الوافر وقافية النون المكسورة وهي من الأشعار التي تعكس شخصية الشاعر وعواطفه الجياشة. تجربة الشاعر في هذه القصيدة تجربة ذاتية تعكس شعوراً شخصياً عاشه الشاعر. على الرّغم من أنّ هذه القصيدة تعود إلى عصر ما قبل الإسلام إلا أنّها ليست قائمة على وحدة البيت بل على وحدة الموضوع ووحدة الجو النفسي وهذه الوحدة نابعة من ترابط الأفكار وترتيبها، حيث ترتبط بعض الأبيات ببعض.

تخيّل الشاعر تأبّط شراً أنّه التقى غولاً فصارعها ودارت بينهما حوارية انتهت بتغلبه على الغول في موضع رحى بطان، وفيها يجسّد الشاعر تطلعه إلى التفرد والتفوّق، ومحاولة امتلاك قوة خارقة تفوق قوّة البشر، ينتصر بها على واقعه وعلى أعراف قبيلته. أمّا الميزة الرئيسة لهذه القصيدة فهي سرديتها، حيث يسجل فيها الشاعر كل ما يدور في حياته الحافلة بالحوادث المثيرة التي تصلح مادة طيبة للفن القصصي. لقد انطوت القصيدة على راو (الشاعر نفسه) بدأ القصيدة وأنهاها، وانطوت على حوار داخلي وخارجي يجمع الواقع بالخيال، فينطلق حوار الداخل في النفس وحوار الخارج بين الفارس النبيل والغول. إنّ الشاعر في نصّه يبلغ بني فهم بأنّه يمتلك قوّة تفوق قوّة البشر وأنّهم لن يقهروا عزيمته بتصرفاتهم الجائرة وقال:

«ألا مَنْ مُبلِغٌ فِتيانَ فَهمٍ ... بِما لاقَيتُ عِندَ رَحى بِطانِ
بِأَنّي قَد لَقيتُ الغولَ تَهوي ... بِسَهبٍ كَالصَحيفَةِ صَحصَحانِ
فَقُلتُ لَها كِلانا نِضوُ أَينٍ ... أَخو سَفَرٍ فَخَلّي لي مَكاني
فَشَدَّت شَدَّةً نَحوي فَأَهوى ... لَها كَفّي بِمَصقولٍ يَماني

فَأَضرِبُها بِلا دَهَشٍ فَخَرَّت صَريعاً لِلیَدَینِ وَلِلجِرانِ
فَقالَت عُدْ فَقُلتُ لَها رُوَیداً مَکانَکِ إِنَّني ثَبتُ الجَنانِ
فَلَمْ أَنْفَکَّ مُتَّکِئاً عَلَیْها لِأَنظُرَ مُصبِحاً ماذا أَتاني
إِذا عَینانِ في رَأسٍ قَبیحٍ کَرَأسِ الهِرِّ مَشقوقِ اللِسانِ
وَساقا مُخدَجٍ وَشَواةُ کَلبٍ وَثَوبٌ مِن عَباءٍ أَو شَنانِ»

(تأبّط شرا، ۲۰۰۳: ۷۵-۷٤)

۳-۱. ظاهرة قصصية

إنّ الميزة الرئيسة لهذه القصيدة فهي سرديتها، حيث يسجل فيها الشاعر كل ما يدور في حياته الحافلة بالحوادث المثيرة التي تصلح مادة طيبة للفن القصصي وهذا الأمر ليس منحصراً في هذه القصيدة بل يشمل شعر الصعاليك بأسره «فشعر الصعاليك -في مجموعه- شعر قصصي يسجل فيه الشاعر الصعلوك كل ما يدور في حياته الحافلة بالحوادث المثيرة التي تصلح مادة طيبة للفن القصصي، فحوادث مغامراتهم الجريئة التي كانوا يقومون بها فرادى وجماعات وما كان يدور فيها من صراع دام مرير، وأخبار فرارهم وعدوهم، وتشردهم في أرجاء الصحراء بين وحشها وأشباحها، وتربصهم فوق المراقب في انتظار ضحاياهم، كل هذا وغيره من مظاهر حياتهم مادة صالحة للفن القصصي.» (خليف، ۱۹۷۸: ۲۷۹). كما هو معلوم أنّ المقطوعات والقصائد في العصر الجاهلي وحتى العصر العباسي تسمّى برويها إلا أنّ هذه القصيدة تقبل العنوان بفضل وحدتها العضوية ووحدة الجوّ النفسي وهي ليست إلا قصة بطلاها الشاعر والغول، ومسرحها تلك الفلاة الواسعة التي لاصخر فيها ولاشجر وزمانها تلك الليلة التي خرجا فيها وبدأ فيه الصراع بينهما، ثم تتابع أحداث القصة التي تدور بين بطلها وهو الشاعر الصعلوك في ليلة مظلمة حالكة وبين غول قابلها، حتى تصل القصة إلى نهايتها حين يقتل الشاعر الصعلوك هذه الغول ويخلفها، أي تأتي الخاتمة أو الفصل الأخير من القصة بانتصار الشاعر الصعلوك واستيلائه على الغول.

۳-۲. وصف المكان

إنّ المكان في هذه القصيدة هي موضع اسمه رحى بطان وهي الرحى التي كانت موجودة في بطن جبل في الصحراء أمّا لقاؤه مع الغول فكان في بطن الصحراء إلا أنّه جاء بكلمات تتسم بالمساحات الشاسعة والظروف المناخية الصعبة حيث قال الشاعر في البيتين الابتدائيين:

ألا مَنْ مُبلِغٌ فِتیانَ فَهمٍ بِما لاقَیتُ عِندَ رَحی بِطانِ
بِأَنّي قَد لَقیتُ الغولَ تَهوي بِسَهبٍ کَالصَحیفَةِ صَحصَحانِ

"بسهب كالصحيفة صحصحان" إنّ «السَّهْبُ /السُّهْبُ من الأَرض: ما بَعُدَ منها واسْتَوَى في سهولة ؛ وهي أَجْوافُ الأَرض والسهب: الفلاة؛ وقيل: سهوب الفلاة نواحيها التي لا مسلك فيها (ابن منظور، د.ت: مادة سهب). وصحصحان: الأرض الجرداء لاصخر فيها ولاشجر «الصَّحْصَحُ والصَّحْصاحُ والصَّحْصَحان: كله ما استوى من الأَرض وجَرِدَ، والجمع الصَّحاصِحُ. الأَرضُ الجَرْداءُ المستوية ذاتُ حَصًى صِغار. الصَّحْصَحُ والصَّحْصحة والصَّحْصَحانُ: الأَرض المستوية الواسعة» (المصدر نفسه: مادة صحح). يهدف الشاعر من التقائه بالغول بفلاة لا صخر فيها ولاشجر إلى الدلالة على خطورة

المكان كما أنّ هذه الصحراء، بامتدادها اللامتناهي، كانت تمثل الحرية المطلقة للشاعر الصعلوك، الذي نبذ القيود الاجتماعية وفضل حياة الترحال والمغامرة.

استخدم تأبّط شرا هذه الكلمة كرمز للتعبير عن مشاعره وأفكاره، مما أضفى على قصيدته هذه بعداً فلسفياً وتأملياً. إضافة إلى ذلك، كانت هذه الصحراء مسرحاً للصراعات والمعارك التي خاضها الشاعر، منها الصراع مع هذه الغول، حيث عبر عن شجاعته وبسالته في مواجهتها. مما زاد الصحراء خطوراً هو التكرار الصوتي الناتج عن صوت الصاد والحاء حيث إنّ حرف الصاد هو حرف الصلابة ويدل على معنى الصلابة فكل شيء مادي عيني أو حسي متماسك متراص بشكل قوي وكرر الوصف بذلك توكيدا، بأنه قد لقيها تسرع في مكان متسع مستو. بمعنى آخر إنّ تكرار صوت "الصاد" في هذا الشطر يشير إلى أنّه لجأ ولاذ ببيئة قاسية لا بأس بها دلالة على بسالته وشجاعته «ووجد في الصحراء الفسيحة الواسعة التي لا تقيدها قيود، ولا تحد من حريتها حدود، ولا يستطيع قانون أن يخترق نطاقها ليفرض سلطانه عليها، مجالا لا حدود له يمارس فيه نشاطه، حيث يحيي حياة حرة متمردة، تسودها العدالة الاجتماعية، وتتكافأ فيها فرص العيش أمام الجميع» (خليف، ١٩٧٨: ٥٥).

٣-٣. وصف الزمان

إذا تصفحنا أشعار الصعاليك نرى أنّ الليل جزء لا ينفك من حياتهم وقد عبروا عن أبعاد ليلهم وألوان معاناتهم فيه بالعديد من الصور الموحية ذات الدلالات العميقة. يعدّ الليل ظرفاً زمنياً تقع خلاله الأحداث في الحياة، لكنّه عند الشعراء عامة وعند شعراء الصعاليك خاصة تحوّل إلى فاعل مؤثّر «فإنّ الليل عند الشاعر الصعلوك إنّما هو مصدر الفخر وميدان لإبراز قوة النفس ورباطة الجأش. فالصعلوك لاينام في الليل وهو شجاع لايهابه ولا يخشى ما فيه من أهوال» (عقيلي، ٢٠١٩: ٢٦٦). اللافت في هذه القصيدة يرى أنّ الشاعر لم يشر إشارة صريحة بالليل لكن جاء بالكلمة التي تدل على أنّ هذه الحادثة وقعت في بطن الليل حيث قال:

فَلَمْ أَنْفَكَّ مُتَّكِئاً عَلَيْها لِأَنظُرَ مُصبِحاً ماذا أَتاني

فهو لم يشر إلى كلمة الليل بل نفهم من البيت كلّه لاسيما كلمة "مصبحا". يمكن حصر خصائص وصف الزمان عند تأبّط شرا في سمتين أساسيتين: الانتقاء والإجمال. ففي الانتقاء يسعى السارد أن يكتفي بذكر عنصر واحد من عناصر الزمن وفي "الإجمال" يريد السارد ألا يدخل في تفصيل الزمان كما هو الحال لدى شاعرنا هذا فهو لم يحدّد زمن الصراع مع الغول وإن أشارت القرائن إلى أنّ الزمن هو الليل فهو بدل أن يدخل في تفصيلاته، فقد أكثر في وصف ما كان من قواه الجسدية ومهارته الحربية لكنّه ظل عنصرا فاعلًا في حركة الأحداث، وساهمت إيحاءاته في تلوين اللوحة الشعرية.

٣-٤. الحبكة

تعد الحبكة الأساس والبنية الرئيسة للقصة، فهي تمثّل إطاراً متماسكاً تنتظم في ضوئه أحداث القصة منذ بدايتها حتى نهايتها. (ميرصادقي، ١٣٨٥: ٦١) تتميز قصيدة "صراع مع الغول" ببنية متماسكة تتضمن مراحل حبكة مختلفة (البداية، الذروة، والنهاية). في مفتتح الأبيات، يقدم الشاعر الشخصيات والمكان والصراعات المحتملة، ومن خلال استخدام "ألا" الاستفتاحية وطرح سؤال يبدأ بـ "مَن"، فإنه يشجع القارئ على مواصلة القصة. بعد تقديم الشخصيات وتصوير

المشهد، ينتقل الشاعر إلى ذروة القصة؛ المرحلة التي تواجه فيها الشخصيات (الشاعر والغول) تحدياتها الرئيسية وتتخذ القرارات بعد المواجهة. تعرض هذه التحديات للقارئ من خلال تبادل المحادثات والحوار بين الشخصيتين. في النهاية، يقدم الشاعر خاتمة منطقية للأحداث. وبوجه عام، تقوم الحبكة السردية في هذه القصيدة على ترابط سببي واضح، وتتسم بالبساطة وعدم التعقيد.

٣-٥. وصف الشخصيات: الخصم (آنتاغونيست/ الغول) والبطل (بيروتاغونيست/ تأبّط شرا)

في الشعر السردي، تعدّ الشخصية عنصراً من العناصر الرئيسة في تكوين القصة وهي قد تكون إنساناً أو حيواناً أو غير ذلك. تتشمل الأنواع الشائعة من الشخصيات في الشعر السردي على الأبطال، والخصوم. أمّا البطل أو بيرونتاغونيست فهو الشخصية البارزة، الشخصية المركزية، وهي الشخصية الرئيسة للعرض في الأعمال الكلاسيكية اليونانية، على عكس الخصم المعروف أيضًا باسم "الرجل السيئ" أو الخصم الشرير، يجب أن يكون لكل قصة بطل؛ لذلك فهو يلعب الدور الأهم في جميع القصص (اندرسون امرت، ٢٠٠٠: ٣٣٩). أمّا الخصم أو آنتاغونيست فهو يعني المنافس، معارض البطل الذي يقف أمام بطل القصة أو بيرونتاغونيست، حيث إن خلقه ووجوده لازم وضروري لإنشاء قصة ملحمية وتناولها وتطويرها. الخصوم، بصفتهم الشخصية الرئيسية، إنهم تجسيد للصراع، والظلال التي تتحدى بطل الرواية. في أغلب الأحيان يكون البطل طيبا والخصم شريرا، وهذا ما يسبب المعركة بينهما. إن دور الخصم لا يقل أهمية عن الشخصية الرئيسة في القصة، ولكن قد لا يتم رؤية هذه الشخصيات بنفس القدر الذي يُنظر إليه على الأبطال (گذرآبادی،١٣٩٣: ١٣٠). إذا دققنا النظر في هذه القصيدة نرى أنّ البطل أو شخصية بيروتاغونيست ليس إلا الشاعر نفسه وهو يقصد أن يصوّر لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول، كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها، مشاهدة للتعجيب من جرأته على كل هول، وثباته عند كل شدّة، حيث قال:

فَقُلتُ لَها كِلانا نِضوُ أَينٍ أَخو سَفَرٍ فَخَلّي لي مَكاني
فَشَدَّت شَدَّةً نَحوي فَأَهوى لَها كَفّي بِمَصقولٍ يَماني
فَأَضرِبُها بِلا دَهَشٍ فَخَرَّت صَريعاً لِليَدَينِ وَلِلجِرانِ
فَقالَت عُدْ فَقُلتُ لَها رُوَيداً مَكانَكِ إِنَّني ثَبتُ الجَنانِ
فَلَمْ أَنْفَكَّ مُتَّكِئاً عَلَيْها لِأَنظُرَ مُصبِحاً ماذا أَتاني

اللافت في الأبيات المذكورة أعلاه يرى أنّ الشاعر يهدف من التقائه بالغول برحى بطان إلى الدلالة على خطورة المكان، ومع ذلك فهو مسالم لايحبّ المشاكل، لذلك طلب منها أن تفسح له مكاناً ليرتاح من تعبه فهما أي: الشاعر والغول، متعبان وجائعان. كما يشاهد أنّ الشاعر في البيت الأول كبطل يريد أن يبلغ قومه أنّه شخص محبّ للسفر ولا يريد أن يخلق المشاكل لقومه ويحاول أن يوصل للسامعين صورته التي سعى من خلالها إلى التفرد ومحاولة أن يمتلك قوة خارقة تفوق قوة البشر. في البيت الثاني يريد أن يصوّر للمتلقّي قدرته ومهارته في الضرب ولكن النقطة الهامّة هي أنّه لا يريد القتال بل هذه الغول هي التي بدأت للصراع وهذه رسالة إلى المتلقّي بأنّ الشاعر شخص مسالم لا يحبّ القتال ولكنها حاولتْ الهجوم عليه، إلا أنّه عاجلها بضربة من سيفه القاطع وفي هذا البيت فضلا عن إظهار شخصيته المسالمة والماهرة في القتال، يؤكّد على شجاعته وبسالته من خلال

استخدام محسّنة "الاحتراس" التي تتجلّى في عبارة "بلا دهش" فلو حذفت لتوهم السامع أنّ الشاعر قام بضرب الغول خوفاً إلا أنّه أتى به لتخليصه مما يوهم خلاف المقصود. في البيت الرابع، على الرغم من أنّ الشاعر يؤكّد على شجاعته من خلال استخدام كلمة "ثبت الجنان" فهو يعني الشاعر أنه لم يفرّ من الغول، بل بقي ثابتاً.

أمّا قبل الحديث عن شخصية الغول بوصفها "الرجل السيئ" أو الخصم الشرير، فينبغي تقديم الغول من حيث اللغة والاصطلاح. ذهب ابن منظور إلى «أنّ الغول هو كلّ ما أَخَذَ الإِنسانَ من حيث لا يدري فأَهلكه. والجمع : أَغْوَالٌ، وغِيلانٌ. والغُولُ مفرد الغِيلان، تزعم العربُ أَنه نوعٌ من الشياطين يَظهر للناس في الفلاة، فَيَتَلَوَّن لهم في صور شتَّى ويَغُولهم، أَي يُضلِّلهم ويُهلِكُهُم.» (ابن منظور، د.ت: ذيل مادة غول) مهما يكن من شيء فإنّ الغول كائن أسطوري تخيلته الأساطير والميثولوجيا العربية القديمة في بيئة اشتهرت بالقصّ والحكي والخيال الواسع فهي من أشهر المستحيلات الثلاثة عند العرب؛ وهي الغول والعنقاء والخِلّ الوفي ويؤكّد ذلك قول الشاعر:

الغولُ والخِلُّ والعنقاءُ ثالثةٌ أسماءُ أشياءَ لمْ تُوجَدْ ولمْ تَكُنِ

(الدميري، ٢٠٠٤: ٢٣٧).

أمّا بالنسبة لظهور الغول كالخصم الشرير في هذه القصيدة فهي ليست إلا وسيلة يعبّر فيها الشاعر عن الفخر بالبطولة والشجاعة وما لديه من محاسن الأخلاق. فالشاعر يفخر ببطولته الخارقة من خلال مواجته للغول فهو يسري في ليل داجن مليء بالأهوال ويعرّج على ذكر هذا الكائن الذي يبثّ الرعب في نفوس من يسمعون القصص عنه وكما قلنا سابقاً إنّ الهدف الرئيس من وصف هذا المخلوق الأسطوري المخيف هو إثبات شخصيته الفريدة لدى قومه الذين لايعرفون قيمته وطردوه. إنّ النقطة المهمة التي يجب أن نشير إليها هي أبيات تصف الغول وصفاً غاية في البشاعة يرسم تفاصيل الوجه والعينين والفم والشفتين، حيث قال:

إذا عَينانِ في رَأسٍ قَبيحٍ كَرَأسِ الهِرِّ مَشقوقِ اللِسانِ

وَساقا مُخدَجٍ وَشَواةُ كَلبٍ وَثَوبٌ مِن عَباءٍ أَو شَنانِ

فالرأس كأنّه رأس الهر وهو حيوان من فصيلة السنوريات. له لسان مفلوق ومشقوق يتسم بوجود أخاديد عميقة (شقوق) على ظهر اللسان كما شبّه ساقيها بالطفل غير تام الخلق، ووجها كقحف رأس الكلب مبالغة في التشويه والغرض الرئيس من هذه الأوصاف هو بثّ الرعب والخوف في نفوس من يستمعون إلى القصص التي تتناول هذا الكائن الأسطوري المخوف، من ناحية أخرى يريد أن يثبت ذاته الشجاعة التي تستطيع أن تحارب مثل هذا الكائن الغريب.

٣-٦. وصف الحوار

إنّ أنسب الأساليب التي تلائم التعبير عن الأفكار في القصيدة هو الأسلوب الحواري (مرعي، ٢٠٠٧: ٦٦). والحوار في الشعر يختلف بطبيعته عن الحوار في المسرح أو القصة «غير أنه لا يبتعد عنهما من حيث إضافة الوظيفة الناتجة عن الحوار؛ فهو في الشِّعر إن كان جاء مختزلًا ومكثَّفًا، إلا أنه يحمل في طياته من الدلالات والجماليات التي لا تكون في قالب آخر» (السهيمي، ٢٠٠٩: ٢٢). مُسهمًا في بنائية النص من حيث الترابط بين أجزائه ومقاطعه. إذا دققنا النظر في هذه القصيدة نرى أنّ

الشاعر قد كسر النمط السائد من العمود الشعري من خلال أسلوب الحوار، إذ استطاع أن يعبّر عما يجول في نفسه تجاه الغول من خلال أسلوب الحوار حيث قال:

فَقُلتُ لَها كِلانا نِضوُ أَينٍ أَخو سَفَرٍ فَخَلّي لي مَكاني
فَشَدَّت شَدَّةً نَحوي فَأَهوى لَها كَفّي بِمَصقولٍ يَماني
فَأَضرِبُها بِلا دَهَشٍ فَخَرَّت صَريعاً لِليَدَينِ وَلِلجِرانِ
فَقالَت عُدْ فَقُلتُ لَها رُوَيداً مَكانَكِ إِنَّني ثَبتُ الجَنانِ
فَلَمْ أَنْفَكَّ مُتَّكِئاً عَلَيْها لِأَنظُرَ مُصبِحاً ماذا أَتاني

الملاحظ أنّ الشاعر «يمزج في أبياته السابقة بين السرد والحوار ليصف لنا الحدث المتنامي، وليرسّخ من خلال قصّته تلك صفاته كبطل في مواجهة كائن خارق كالغول كما أنّه يعني بكشف الفضاء المكاني الذي تدور فيه القصه فقد أكسب الحوار النص الحركة والحيوية وأضفى عليه مسحة من الواقعية من خلال التشخيص ليبدو الشاعر في نصّه وكأنّه يعبّر عن حاجة إنسانية متمثّلة في الحلم حين يمزج بين الحقيقة والخيال معاً، وهو يرى واقع الحياة بكلّ ما تحيط به ويطويه في إطار من الوهم يخفيه ليخلق منها دنيا جديدة» (عبد الله، ٢٠٢٤: ٢٠٣). إنّ الحوار في هذه القصيدة ثنائي الطرف: "محادثة تجري عادة بين شخصين، ويمكن أن تكون على شكل نقاش أو محادثة عادية." (داد، ١٣٨٥: ٤٠٧) مما يسترعي الانتباه في هذا الحوار هو غلبة ضمير المتلكّلم على جسد النص فالشاعر يتحدث بوساطته عن نفسه، ويكشف عن تجاربه، ويعلي من شأنه، ويبث ما يريد من أخلاقه إلى المتلقّي ويحتمل المتلقي هذه الأنا، ويرحب بها أمّا من الناحية الدلالية فاستخدام ضمير المتكلّم يدلّ على أنّ الشاعر قصد إلى إثبات بطولته لقومه فنلاحظ أن عوالم القصيدة تقوم على هذا الضمير، فهو الذي يقدم الذات الشاعرة وهكذا يكون الهدف من سرد أسطورة كهذه في ثنايا النص الشعري مع هيمنة الضمير المتكلّم وحده، هو التركيز على بطولة الفرد من خلال شخصيته التي تواجه الغول وتخوض معها معركة خارقة يعجز الأفراد مجتمعين عن مواجهته، ولعلّ الانتصار الذي يحققه فرد على الغول الذي يمتلك القوّة الخارقة؛ يشكّل متنفّساً لعجز الإنسان والجماعة التي ينتمي إليها. (عبد الله، ٢٠٢٤: ٢٠٣).

٣-٧. وجهة النظر

وجهة النظر هي «الموقف الذي يتخذه الراوي في سرد القصة، والذي يفتح نافذة للقارئ ليرى ويقرأ أحداث القصة من خلالها.» (داد، ١٣٨٥: ١٩٧) تنقسم وجهة النظر إلى نوعين: داخلية وخارجية. في وجهة النظر الداخلية، يكون راوي القصة أحد الشخصيات الرئيسية أو الثانوية؛ أي أن عناصر القصة ومكوناتها تُعرض من خلال إحدى الشخصيات الرئيسية أو الثانوية، وتُروى القصة من منظور المتكلم.» (پرويني، ١٣٧٩: ١٨٥) لكن من وجهة النظر الخارجية «يكون المؤلف خارج القصة، وينقل أحداث الأبطال.» (شميسا، ١٣٨٦: ١٦١) بناءً على هذه التفاصيل، يمكن القول إنّه إذا كان السرد بضمير المتكلم، فيجب أن تُروى القصة من قبل إحدى شخصياته، وبما أن الشاعر نفسه (الراوي) هو الشخصية الرئيسية في القصة في القصيدة المعنية، فإن وجهة النظر هي داخلية والراوي يقوم بسرد الأحداث من وجهة نظره الشخصية، أي شخصية يكون لحياتها وسلوكها أهمية كبيرة للقارئ. في الواقع، باختيار هذا المنظور، يتحدث الشاعر مباشرةً عن صفاته الإيجابية، ومن

خلال أفعاله وسلوكه، يُقنع القارئ بأنه رجل صالح. ولإثبات ادعائه، يُعبّر ببراعة عن صفاته الشخصية بطريقة تجعل القارئ، يتوصل إلى استنتاج مفاده أنه ينبغي عليه تقبّل الصفات الإيجابية لشخصيته. من ناحية أخرى، فإن اختيار وجهة نظر صيغة المتكلم يوجه القارئ إلى الشعور بالواقعية وحضور الذهن؛ مما يعني أن القصة تتطابق بالفعل مع الحقائق؛ بطريقة تجعل القارئ منغمساً في القصة ولا يكون لديه أدنى شك في واقعيتها.

٣-٨. الموضوع

الموضوع هو الفكرة المهيمنة في القصة. ويُعرّف الموضوع بأنه: «الفكرة الرئيسية والمهيمنة في أي عمل أدبي. وهو بمثابة خط أو خيط يمتد عبر العمل ويربط بين مواقف القصة وأحداثها. بعبارة أخرى، يُظهر موضوع أي عمل التوجه الفكري والإدراكي لمؤلفه.» (ميرصادقي، ١٣٨٥: ١٧٤) يعرض موضوع هذا العمل من خلال قراءة النص كاملاً، وعن طريق كلمات شخصيات القصة، وخاصة البطل. وبشكل عام، تنقسم موضوعات هذه القصيدة إلى ثلاثة أنواع: أخلاقية، واجتماعية، وفنية. يمكن تقسيم الموضوعات الأخلاقية إلى صفات حميدة وأخرى خبيثة؛ فالصفات الحميدة التي تتسم بها شخصية بطل القصة تشمل: السعي إلى السلام، وإدانة الحرب وإراقة الدماء، والطموح والإرادة القوية، والقوة والمهارة في القتال، والشجاعة والإقدام، والثبات، والذكاء، والمشاعر الصادقة. أما الصفات الخبيثة التي تتسم بها شخصية الغول فتشمل: الخداع والمكر، والقتل والاعتداء على الصداقة، والقبح وقصر النظر، والكبرياء وانتهاك حقوق الآخرين. ومن بين أهم الموضوعات الاجتماعية تصوير الاغتراب والعزلة، وذل العبودية، والعقاب المناسب للمعتدين، وإدانة تهميش الأحرار والكرماء. لكن الموضوع الفني لهذه القصيدة يتم بلا شك من خلال خلق صور مبالغ فيها وخيالية لإثبات قوة الشاعر الخارقة؛ بطل فريد من نوعه، قام بقتل الغول في منطقة تسمى "رحى بطان"، مما أدى إلى إزالة كل الذل من العبودية.

٣-٩. النبرة

«النبرة هي أسلوب الكاتب في التعبير ويمكن أن تتخذ أشكالاً عديدة، بما في ذلك كونها مضحكة، أو مبكية، أو تافهة، أو جادة، أو فكاهية، أو أي نبرة أخرى قد يبتكرها الكاتب لكتابة قصته.» (ميرصادقي، ١٣٨٥: ٥٢٣) إنّ النبرة لها علاقة بجميع العناصر الأسلوبية، وعندما يكون النص السردي شعراً، فإن هذه العلاقة تكون وثيقة أيضاً بجميع عناصر الشعر؛ من الشكل الشعري ومعاني المفردات إلى بنية الجمل وحتى صور الخيال. «تعد الكلمة أداة لتشكيل النبرة، وإنّ كيفية دمجها وتكوينها في الكلام أمر في غاية من الأهمية؛ لأن الكاتب يستطيع خلق نبرة معينة من خلال نغمة الكلمات في الجمل وموسيقاها، وبنية الجمل في الكلام، واستخدام الرموز والاستعارات والتشبيهات، وينقل المعنى المقصود إلى القارئ.» (هوشنگی و مالمیر، ١٣٩٨: ١٣٣)

إن النبرة العامة لقصيدة "صراع مع الغول" تتسق مع موضوعها اتساقا يتجلى في اختيار الوزن والقافية، وكذلك في استخدام الجمل والعبارات المؤكدة، وكلها تهدف إلى التعبير عن بسالة إنسان يستحق الاحترام والتكريم مثل العظماء. إن نبرة تأبط شرا جادة وحازمة وصلبة للغاية؛ ويمكن ملاحظة هذه النبرة الحازمة في اختيار بحر الوافر التام:

مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُن مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُن

وهو يعدّ من أكثر البحور العربية استخداماً في موضوع الفخر وهو «ألين البحور ويشتدّ إذا شددته ويرقّ إذا رققته وأكثر ما يجود به النظم في الفخر» (الشايب، ٢٠١١: ٣٢٣). وحقيقة الأمر أن الوافر بحر مسرع النغمات متلاحقها، مع وقفة قوية سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق. وهذا يتطلب من الشاعر أن يأتي بمعانيه دفعا دفعا، كأنه يخرجها من مضخة، لا في انثيال كما يفعل صاحب المتقارب، ولا في رشاقة ورقص كما يفعل صاحب الكامل (الطيّب، ١٩٨٩: ٤٠٧). ولهذا فإنك أكثر ما تجد الوافر في نظم الشعراء ذا أساليب تغلب عليها الخطابة وأحسن ما يصلح هذا البحر في الاستعطاف والبكائيات وإظهار الغضب في معرض الهجاء والفخر، والتفخيم في معرض المدح. أمّا السؤال الذي يطرح هنا فهو: هل اختار تأبّط شرّا لشعره من الأوزان ما يلائم عاطفته؟ كما نعلم أنّ البحور تختلف باختلاف المعاني والأغراض «وخير الأوزان ما لاءم موضوعه أو عاطفته العامّة وعلى الناقد أن ينظر في هذه الصلة بين المعنى والوزن لعلّه يجد في ذلك تناسباً يكسب النظم قوة وجمالاً» (المصدر نفسه: ٣٢٤).كما هو معلوم أنّ تجربة الشاعر في هذه القصيدة ذاتية وهي ما تعبر عن ذاته الشجاعة والبطل من ثمّ اختار وزناً يلائم والجو النفسي في القصيدة. أما الإيقاع الداخليّ فيُخلَق مع النص، ويتولد من أجراس الحروف وتوزيعها على فضاء النص، بل من خلال تنسيق الألفاظ التي ينتقيها الشاعر بعناية فائقة لما لها من خصائص موسيقية. استهلّ الشاعر بتكرار صوت "آ" الذي يدل على امتداد، حيث استخدم كلمة "ألا" الاستفتاحية لإفادة توكيد مضمون الجملة وهي حرف بسيط يفتتح به الكلام وينبّه على أن ما بعده متحقّق لا محالة وهذا يدل على أنّ الشاعر يريد من البداية أن يلفت الانتباه. إنّ ترديد الأصوات ظاهرة بارزة في البيت الثاني أيضاً، ففي هذا البيت تردد صوت الصاد والحاء وهما صفات شدة تناسب المعاني الفخرية والصلابة التي تدور عليها الأبيات.

تتجلى هذه النبرة الجادة والحازمة أيضاً في اختيار الكلمات. تنقسم كلمات هذه القصيدة إلى حقلين دلاليين: الحقل الدلالي المتعلق بالشخصية الرئيسية أو بطل القصة الذي يسعى إلى إثبات شجاعته وبسالته. في هذا القسم، نشهد مفردات سلسة وواضحة ومفهومة، كلمات تحمل معاني السعي للسلام والتسامح واللطف. ٢- الحقل الدلالي المتعلق بشخصية الخصم الشرير، حيث تتخذ المفردات طابعاً أسطورياً وغريباً.

وبشكل عام فإن هيمنة الكلمات المنسوبة إلى الغول واضحة في هذه القصيدة؛ كلمات تدفع فضاء النص إلى أن يكون أسطوريا قدر الإمكان، منها: رحى بطان، صحصحان، النضو، الأين، الجران، مخدج، شُواة، وشنان.

أمّا في المستوى النحوي (التركيبي) فنرى أنّ الجمل تتراوح بين الاسمية والفعلية إلا أنّ الجمل الفعلية هي السائدة والغالبة على جسد النص؛ والسبب يعود إلى سردية النص والحوار الذي يتبادل بينهما. أمّا الشاعر فعندما أراد أن يصف مظهر الغول الخارجي فهو استخدم الجملة الاسمية الدالة على الثبات نحو قوله:

«إذا عَينانِ في رَأسٍ قَبيحٍ كَرَأسِ الهِرِّ مَشقوقِ اللِسانِ
وَساقا مُخدَجٍ وَشَواةُ كَلبٍ وَثَوبٌ مِن عَباءٍ أَو شَنانِ»
(تأبّط شرا، ٢٠٠٣: ٧٥)

كما هو معلوم أنّ الشاعر لجأ إلى استخدام الجمل الاسمية في البيتين الأخيرين ليصف مظهر الغول الخارجي وهي أوصاف لاتتغيّر وتبثّ الرعب في نفوس السامعين. أمّا النقطة المهمة للغاية في هذه القصيدة فهي الالتفات الصيغي المستخدم في البيت الخامس، حيث قال:

«فَأَضرِبُها بِلا دَهَشٍ فَخَرَّت صَريعاً لِليَدَينِ وَلِلجِرانِ»

(المصدر نفسه: ٧٤)

وكان الظاهر أن يقول: فضربتها، لكن عدل إلى المضارع ليحكي الحال الماضية كأنها موجودة الآن مشاهدة فيتعجب منها، فهو لجأ إلى هذا النوع من الالتفات ليصور لقومه الحالة التي تشجع فيها على ضرب الغول، بمعنى آخر فقوله «فأضربها معدول به عن لفظ الماضي الى المستقبل ليمثل للسامع الصورة التي فعل فيها ما فعل من الإقدام والجراءة على قتل ذلك الكائن الغريب، ألا ترى أنه قال أولا لاقيت ولقيتُ وشدّت بلفظ الماضي ثم قال بعد ذلك فأضربها ولو عطف كلامه على أوله لقال فضربتها وكثيراً ما يفعلون ذلك بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك» (الزمخشري، ١٩٩٨م: ٦٠١).

في المستوى البلاغي رأينا أنّ الغرض من التشبيه هو بيان حال المشبّه ليكون واضحاً لدى المخاطب. استخدم الشاعر الأدوات المؤكّدة لتثبيت هذه المعاني في ذهن السامع ومن هذه الأدوات هي: ألا الاستفتاحية، وإنّ، وقد، والمفعول المطلق التأكيدي (فشدّدت شدة)، والاحتراس (بالدهش).

الخاتمة

تظهر نتائج هذا البحث أنّ قصيدة "صراع مع الغول" تتميز بحبكة متماسكة، وتتبع ترتيباً محدداً للسبب والنتيجة، ولها مراحل مختلفة (البداية، الذروة، والنهاية).

- تدور أحداث هذه القصيدة في منطقة قاحلة جرداء تُدعى رحى بطان. ولا يقتصر وصف هذه المنطقة بكلمة "صحصحان" على الإشارة إلى مخاطرها وعنفها فحسب، بل يعبّر أيضاً عن حرية الشاعر المطلقة، وحياته الترحالية، وروحه المغامرة؛ ومن جهة أخرى، فقد أضفى على قصيدته طابعاً فلسفياً غامضاً. لكن وصف عنصر الزمن في هذه القصيدة ينقسم إلى جزأين أساسيين: ١- الانتقاء. ٢- الإيجاز. في الجزء الأول، يحاول الراوي (الشاعر) أن يقتصر على عنصر زمني واحد (مصبحاً) في سرده، أما في الجزء الثاني، فلا ينوي الراوي الخوض في تفاصيل الزمن وشرحها، بل يصف قوته البدنية ومهاراته القتالية.

- من حيث وصف الشخصيات، نجد في هذه القصيدة نوعين من الشخصيات: البطل (الشخصية الرئيسية أو بروتاغونيست) والخصم الشرير (آنتاغونيست). البطل أو الشخصية الرئيسية هو الشاعر الذي يريد أن يصور صورة شجاعته وجرأته لقومه؛ شخصية محبة للسلام تسعى إلى إثبات وتوضيح الخصائص الداخلية والخارجية لشخصيته للمتلقي، بما في ذلك الطموح والإرادة الفولاذية وحب السلام والذكاء والمشاعر الصادقة والنفور من الصراع والنزاع. لكن فلسفة ظهور الغول كبطل مضاد في هذه القصيدة ووصف هذا المخلوق الأسطوري المرعب هو دليل على شجاعة الشاعر وشخصيته الفريدة بين قومه الذين لم يدركوا قيمته كما ينبغي.

- الحوار في هذه القصيدة ثنائي الاتجاه، واللافت في هذا الحوار هو هيمنة ضمير المتكلم على بنية النص، والغرض من ذلك هو التعبير عن إشادة الشاعر بنفسه والشهادة على حقيقة تفرده بين أفراد القبيلة.

- وجهة النظر في هذه القصيدة هي ضمير المتكلم، والشاعر (الراوي) نفسه هو الشخصية الرئيسية في القصة، واختيار وجهة النظر هذه، يوجه القارئ إلى إحساس بالواقعية وحضور الذهن؛ مما يعني أن القصة قد تمت مطابقتها مع الحقائق في الواقع؛ بطريقة تجعل القارئ منغمساً في القصة ولا يكون لديه أدنى شك في واقعيتها.

- ينقسم موضوع هذه القصيدة إلى ثلاثة أنواع: أخلاقي، واجتماعي، وفني. من بين المواضيع الأخلاقية الإيجابية: السعي إلى السلام، وإدانة الحرب وإراقة الدماء، والطموح والإرادة القوية، ومن بين المواضيع الأخلاقية السلبية: الخداع والمكر، والقبح وقصر النظر، والكبرياء وانتهاك حقوق الآخرين. لكن الموضوع الفني لهذه القصيدة هو خلق صور مبالغ فيها وخيالية، لإثبات قوة الشاعر الخارقة.

- النبرة العامة للقصيدة متسقة مع موضوعها؛ وهو اتساق من حيث اختيار الوزن واستخدام الجمل والعبارات المؤكدة. في المستوى الإيقاعي، اختار الشاعر البحر الوافر، وهو البحر الأنسب لموضوع الفخر والثناء على الذات، حيث اعتبر خصائص مثل الشجاعة وعدم الخوف والبسالة حقا أصيلا له، وباستخدام نغم حروف مثل "صاد" وحرف العلة "آ" التي تحتوي على صفات الاستعلاء، أعطى القوة والقدرة لهذه الفضائل الأخلاقية.

من حيث اختيار المفردات، بشكل عام، فإن هيمنة المفردات المنسوبة إلى الغول واضحة في هذه القصيدة؛ مفردات تدفع فضاء النص لكونها أسطورية قدر الإمكان. لكن على المستوى النحوي أو التركيبي، تهيمن الجمل الفعلية على متن النص، والسبب في ذلك هو الطبيعة السردية للنص ووجود الحوار الذي يحدث بين الشخصيتين الرئيسيتين في القصة. استخدم الشاعر الأدوات المؤكّدة لتثبيت هذه المعاني في ذهن السامع ومن هذه الأدوات هي: ألا الاستفتاحية، وإنّ، وقد، والمفعول المطلق التأكيدي (فشدّدت شدة)، والاحتراس (بالدهش).

قائمة المصادر والمراجع

ابن منظور، محمد بن مكرم، (د.ت). لسان العرب، بيروت: دار صادر.

أندرسون إمرت، إنريكى، (٢٠٠٠). القصة القصيرة النظرية والتقنية، المترجم علي إبراهيم علي منوفى، القاهرة: المجلس الأعلى الثقافى.

پروينى، خليل، (١٣٧٩). تحليل عناصر ادبى و هنرى داستان‌هاى قرآن، چ ١، تهران: فرهنگ گستر.

تأبّط شرا، (٢٠٠٣). ديوان تأبّط شرا، ط ١، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، بيروت: دار المعرفة.

الحنفي، عبد الحليم، (١٩٨٧). شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

خليف، يوسف، (١٩٨٧). الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط ٣، القاهرة: دار المعارف.

داد، سيما، (١٣٨٥). فرهنگ اصطلاحات ادبي، چ ٣، تهران: مروارید.

الدميري، كمال الدين، (٢٠٠٤). حياة الحيوان الكبرى، تحقيق عبد القادر الفاضلي، بيروت: المكتبة العصرية.

روحانی، رضا؛ منصوری، احمدرضا، (١٣٨٦). «غزل روایی و خاستگاه آن در شعر فارسی»، پژوهش زبان و ادب فارسی، شمارهٔ ٨، صص ١٠٥-١٢١.

الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، (١٩٩٨). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط ٣، تحقيق خليل مأمون شيحا، بيروت: دار المعرفة.

زيتوني، لطيف، (٢٠٠٢م). معجم مصطلحات نقد الرواية، ط١، بيروت: مطبعة لبنان.

السهيمي، صالح أحمد محمد، (٢٠٠٩). الحوار في شعر الهذليين - دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى.

الشايب، أحمد، (٢٠١١). أصول النقد الأدبي، الطبعة ١١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

شمیسا، سیروس، (١٣٨٦). انواع ادبی، چ ٢، تهران: میترا.

الطيب، عبد الله، (١٩٨٩). المرشد إلى فهم أشعار العرب، ط ٢، الكويت: دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة.

عباس، لؤي حمزة، (٢٠١٨). سرد الأمثال، دراسة في البنية السردية لكتب الأمثال العربية مع عناية بكتاب المفضل بن محمد الضبي (أمثال العرب)، البصرة، العراق: دار شهريار.

العبودي، ضياء غني؛ حامي، تغريد خليل، (٢٠٢٠). «القصيدة السردية في المجموعة الشعرية "الليل وأحداق الموتى" للشاعر رشيد مجيد» مجلة العلوم الإنسانية، المجلد ٤، العدد ٣، صص٤٧-٦٢.

عاتي، حسين بن أحمد بن ثابت، (٢٠٢٥). «البنية السردية في شعر محمد حبيبي ديوان "أطفئ فانوس قلبي" أنموذجاً»، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد٥، العدد٣٦، صص ٤٦-٦٣.
doi.org/١٠/٥٦٩٨٩/benkj.v٥i٣/١٤١٩

عطايا، إحسان؛ عبدالله، عبد السلام، (٢٠٠٧م). مباحث في تقنيات التعبير الكتابي، ط٤، بيروت: مركز دار الكتاب.

گذرآبادی، محمد، (١٣٩٣ش). فرهنگ فیلمنامه، تهران: بنیاد سینمایی فارابی.

میرصادقی، جمال، (١٣٨٥). واژه نامهٔ هنر داستان‌نویسی، چ ١، تهران: مهناز.

عبدالله، عبدالحليم، (٢٠٢٤). «أسطورة الغول في الشعر الجاهلي: دراسة في الصورة المادية»، مجلة بويفلد، المجد ٢٣، صص ١٩٤-٢١٠.
https://doi.org/١٠,٣٤٠٨٥/buifd..١٤٢٠٦٤١

عقيلي، انتصار أحمد يعقوب، (٢٠١٩). «المتغيّر الأسلوبي (الليل) في شعر الصعاليك»، مجلّة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد ١١، العدد ١، صص ٢٦٠-٢٧٨.

الغزّابي، الجيلالي، (٢٠١٦م). عناصر السرد الروائي، رواية السّيل لأحمد التوفيق أنموذجاً، ط١، الأردن: عالم لكتب الحديث.

القحطاني، مذكر بن ناصر، (٢٠٢٢). «شعر الصعاليك نظرة في الرؤية والأداة»، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، المجلد ٣٧، العدد ٢، صص ٧٣٦-٧٧٢.

مرعي، محمد سعيد حسين، (٢٠٠٧). «الحوار في الشعر العربي القديم - شعر امرئ القيس أنموذجًا»، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد ١٤، العدد ٣، صص ٦٠-١٠٢.

هلال، عبد الناصر، (٢٠٠٦). آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، ط ١، القاهرة: مركز الحضارة العربية.

هوشنگی، فاطمه؛ مالمیر، محمد ابراهیم (١٣٩٨). «تحلیل عناصر روایی داستان موش و گربهٔ شیخ بهایی»، پژوهشنامهٔ ادبیات داستانی، سال ٨، شمارهٔ ٢٦، صص ١١٣-١٣٧.

doi: ١٠,٢٢١٢٦/rp.١٩٧٠,١٠٨٠

یونق دي، لیو، (٢٠٢٢). «شعر الصعاليك أغراضه وخصائصه»، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، المجلد ٣، العدد ٣٤، صص ٣٥٩-٣٩٠.

doi.org/١٠,٥٢١٣٣/ijrsp.v٣,٣٤,١٢